للحواسّ. بل أودعتنا قـوى وجهـزتنـا بـأسلحـة إذا نحن توصّلنا إلى فهمها كلّ الفهم وأتقنّا استعمالها على أتمّ وجه تحرّرنا بها من ربقة الغريزة ومن خداع الحواسّ، ونفذنا من ظواهر الأشياء إلى بواطنها فأدركنا سرّ التغيّر والتجدّد فيها والغاية من كليهما. وإذ ذاك تحكّمنا في الأشياء بدلاً من أن تتحكّم الأشياء فينا. ومن أبرز تلك القوى وأمضى تلك الأسلحة ـ الفكر والخيال والإرادة.

ما يزال الإنسان قريب العهد بالبهيمة وحديث التمتّع بـالفكـر والخيـال والإرادة فما أتقـن استعمالها بعـد، وعلى الأخصّ الإرادة، فهي إلى اليوم أضعف الأسلحة في يده. إلّا أنّه منذ أن اهتدى إلى الفكر والخيال والإرادة أعلنها حرباً شعواء على الحواسّ البطيئة، البليدة، الخدّاعة، وعلى الغريزة العابثة، المستبدّة، القاسية. وهو ما برح من حربه في البداية. ولكنها بداية بارعة تبشّر بنهاية رائعة.

أمّا الحواسّ فقد حطّم الإنسان بفكره وخياله جانباً لا يستهان به من قيودها وحدودها. فالأرض ليست مسطّحة وثابتة، والشمس لا تدور حول الأرض، والإنسان اللاصق بالتراب لا يستحيل عليه امتطاء الهواء ولا اقتناص البرق الشارد في الفضاء، ولا أن يرسل صوته عبر الصحارى